حياة البهبهاني وكتابه (أساس النحو)

محمد عباس لايذ سعد أ. د. حامد عبد المحسن كاظم الجنابي

قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل

Behbehani's Life and Book (Basis of Grammar)

Muhammad Abbas Laith Saad
Prof. Hamed Abdul Mohsen Kazem Al-Janabi
.Department of Arabic Language – College of Education for Humanities – University of Babylon
Email: a81557654@gmail.com
Mobil: 009647735079552

Research Summary:

One of the important issues is to trace the scholars 'traces and search for their scientific findings, to take their place in the march of the upward development of the Arabic gramma

Sayyid Ali bin Muhammad al-Bahbahani is considered one of the distinguished scholars whose theory is less, because he possesses the strong theoretical power and objective proposition in various fields of legal and linguistic sciences. The limits of my research and my investigation of his effects. The research sheds light on an aspect of his life and an overall presentation of his book.

Key words: Behbehani , basis , grammar.

ملخص البحث

من القضايا المهمة اقتفاء أثار العلماء والتنقيب عن نتاجاتهم العلمية ، لتأخذ مكانها في مسيرة التطور الصاعد للنحو العربي ، ويعد السيد علي بن محمد البهبهاني واحد من العلماء الافذاذ الذين قل نظريهم، فهو بما يملك من قوة نظرية ثاقبة وطرح موضوعي لشتى مجالات العلوم الشرعية واللغوية ، مما دفعنا بعد الاطلاع على كتابه (أساس النحو) ، وما يحمل بين طياته من آراء وحدود ، في مجال حدود بحثي واستقصائي لآثاره ، فالبحث يلقي الضوء على جانب من حياته وعرض أجمالي لكتابه.

الكلمات الافتتاحية: البهبهاني ، أساس، النحو.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله محمد وآل الطاهرين ، الصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعباد الصالحين ، وبعد:

فقد شغل علم النحو وما يحوطه من مسائل وفنون وأغراض الأوساط العلمية والتي أرسى دعائمه مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – عليه السلام – عندما أشار إلى حواريه أبي الأسود الدؤلي – رحمه الله تعالى – وقد طال الكلام والنقاش فيه فأثمر لنا قطوفا دانية وثمارا جنية ، وما ذلك إلا ببركة وجهود علماء العربية ، فقد وضعوا الأسس والمباني الرصينة والقواعد المتينة في علوم اللغة عامة وعلم النحو خاصة. ولعلنا لا نجانب الصواب أذا قلنا أن القواعد والحدود النحوية لم تأت ناضجة دفعة واحد بل جاءت بعد مخاض عسير ومحاولات حكم على بعضها بالفشل،وعلى أكثرها بالنجاح.

ويعتبر البهبهاني في كتابه (أساس النحو) واحد من العلماء الذين كان لهم محالة المشاركة والاسهام في وضع نحو رصين ومناقشة بعض ما جاء في أقوال العلماء الذين سبقوه بالتأييد تارة والاعتراض تارة اخرى وكل ذلك مشفوعا بالنصوص.

مشكلة البحث:

من أهم المشاكل التي واجهت البحث هي:

1- ليس هناك تحقيق للكتاب ولا يوجد دراسة عليه.
2- اللغة التي كتب بها الكتاب ذات طابع فلسفي أصولي.
3- ورد بالكتاب مصطلحات حديثة غير مألوفة في الدرس النحوي مثل: (الاسناد الاتحادي والاسناد الحدوثي).
4- وجود أخطاء مطبعية في الكتاب.
5- صعوبة وجود مصادر تتكلم على البهبهاني وكتابه أساس النحو.

أهمية البحث:

وتبرز أهمية البحث من خلال ما يلي:

1- تسليط الضوء على حياة وآثار واحد من العلماء الذين غفل عن الدرس النحوي.
2- أثبات أن النحوي العربي قابل للفرضيات والآراء ، ودفع شبه أصابته بالجمود ، أنه نضج وسكت الكلام فيه.
3- فتح الباب أمام الباحثين والدارسين للإفادة والاستفادة من هذا الجليل.
4- توسيع الدرس النحوي عن طريق طرح آراء واعتراضات لم يتطرق لها الدارسين من قبل.

محتوى البحث:

البحث يتضمن من بابين :

الفصل الأول: (حياة البهبهاني) وفيه:

أولا: أسمه ونشأته.

ثانيا: أسفاره.

ثالثا: شيوخه وتلامذته.

رابعا: مؤلفاته.

خامسًا: وفاته.

الفصل الثاني : كتاب (أساس النحو) وفيه:

المبحث الأول : وصف الكتاب ومنهجه.

المبحث الثاني: الغرض من تأليف الكتاب.

المبحث الثالث: موضوعات الكتاب.

المبحث الرابع: أهمية الكتاب.

الفصل الأول: حياة البهبهاني

المبحث الأول: أسمه ونشأته.

اتفقت المصادر الَّتي ترجمت لحياة البهبهاني على اسمه وألقابه فهو (علي بن محمد بن علي الموسوي البهبهاني الرامهرمزي الأهوازي) [1].

وبهبهان، و رامهرمز، والاهواز، مدن إيرانية، ولد في مدينة بهبهان والتي تقع في الشمال الشرقي لمدينة خوزستان الواقعة في الجنوب الغربي لجمهورية إيران الإسلامية.

وقد كان أبوه من الصلحاء الاتقياء في هذه المدينة، وكان يعمل بالكسب والفلاح، وكان المترجم له يعمل معه، ظهرت ميوله العلمية منذ ذلك الحين فقد حصل على نسخة من كتاب جامع المقدمات يطالع فيه بعمق ودقة مخفيًا عن والده ثم لما ظهر أمره اشتغل رسميًا عند بعض أعلام بلدته منهم الفقيه المتبحر السيد محمد المعروف بناظم الشريعة. [2]

عزم البهبهاني على الهجرة إلى النجف الاشرف لمواصلة دروسه وبحوثه، وكان ذلك سنة (1322هـ)، وله من العمر آنذاك تسع عشرة سنة، وبقى فيها ما يقارب ست سنوات يحضر فيها دروس أستاذه المحقق السيد محمد كاظم الخرسان، وأستاذه الآخر السيد كاظم اليزدي صاحب كتاب العروة الوثقى في.

رجع إلى بهبهان وباشر التدريس بها مدة من الزمن واشتغل بالتدريس والإفادة والتبليغ، ثم عاد إلى النجف الاشرف مشتغلًا بالتدريس سنة كاملة ولم تساعده الظروف بسبب المرض لذلك اختار العودة إلى موطنه وبقي هناك علمًا من الأعلام إلى سنة (1338 هـ)، بعدها قُدمت له دعوة من كبار العلماء للقدوم إلى النجف الأشرف، وفي الطريق مرضت زوجته فاضطر للمكوث في مدينة (رامهرمز) وهي مدينة تقع بين بهبهان والاهواز، وبقى في هذه المدينة مرجعًا ومدرسًا واماما للمسجد ما يقارب الربع قرن من الزمان وبعدها شدَّ الرحال إلى العتبات المقدسة في كربلاء.

فطلب منه المرجع الديني حسين الطباطبائي التدريس والإفادة في حوزتها العلمية، فلبى طلبه ومكث فيها ما يقارب سنتين يدرس الفقه والأصول مع جماعة من العلماء.

وكانت له رحلات مختلفة بين كربلاء والنجف وقم، وهاجر بعد ذلك إلى مدينة الاهواز سنة (1370 هـ)، وفيها اشتهر صيته وعلا كعبه واستوطنها وواصل فيها نشاطاته في التدريس والافتاء واشتهر واصبح من مراجع التقليد في تلك النواحي[3].

مرَّ القول أنَّ المترجم له قد تتلمذ في أول مسيرته العلمية على يد العلامة المحقق المتبحر السيد محمد المعروف بناظم الشريعة وذلك في مسقط رأسه مدينة بهبهان وبعد الهجرة إلى النجف أخذ دروس الفقه والأصول من السيد كاظم الخرسان والكبير السيد كاظم اليزدي، فضلًا عن العلامة أستاذ الأصول السيد الكوه كمري وقد تتلمذ على يديه (في المناطق التي قصدها) مجموعة من طلبة العلوم الدينية منهم أنجاله: السيد عبد مجتهد زاده و ومحمد جعفر مجتهد زاده ومحمد تقي مجتهد زاده و السيد محمد بن نعمة الله الجزائري وآخرون[4].

لبى البهبهاني نداء ربّه في ليلة 18 ذي القعدة الحرام سنة (1395 هـ)، في مدينة الاهواز[5].

المبحث الثاني: مؤلفاته.

ألف البهبهاني كتابًا ورسائل أشهرها:

1. حاشية على العروة الوثقى في الفقه العملي لأستاذه السيد كاظم اليزدي (مطبوعة).
2. مقالات حول مباحث الالفاظ في أصول الفقه (مطبوع).
3. حاشية على كتاب (وسيلة النجاة) في الفقه العملي لمحمد حسن صاحب الجواهر (مطبوعة).
4. التوحيد الفائق في معرفة الخالق.
5. مصباح الهداية في إثبات والولاية (مطبوع).
6. كتاب الاشتقاق، كشف الاستار عن وجه الاسرار في شرح الرواية المنقولة عن أبي الاسود الدؤلي في أصول النحو العربي طبع سنة (1381 هـ).
7. أساس النحو. [6]

الفصل الثاني: كتاب أساس النحو

المبحث الأول: وصف الكتاب ومنهجه.

يعتبر كتاب أساس النحو للعلامة السيد علي بن محمد البهبهاني من الكتب الَّتي تعالج قضايا نحوية منتقاة حسب ما يذهب إليه المؤلف من أنَّها بُنيت على أساس غير صحيح، الكتاب مبني على فكرة مراجعة وتصحيح الأسس والمباني النحوية وقد عمد المؤلف في ذلك على مزج أصول النحو بفروعها لإثبات القواعد النحوية التي يذهب إليها.

لقد نهج البهبهاني أسلوبًا فلسفيًا في كتابه وذلك عن طريق استعمال مصطلحات شاع استعمالها في حقول الفلسفة والمنطق، ولعل السبب في ذلك يعود إلى طبيعة المدرسة الأصولية الفقهية التي ينتمي إليها، إذ يشيع فيها إثبات الحقائق عن طريق الجدل الفلسفي المعمق، ويبدو ذلك واضحًا جليًا في الأسئلة الافتراضية التي يطرحها بعبارة (فإن قيل..... قلنا)[7]، ويعمد في ذلك إلى إبطال القول عن طريق إبطال لوازمه ولا يخفى أنَّ ذلك منهجٌ فلسفي يندرج تحت باب العلة والمعلول في الدرس الفلسفي، ولم يكن هذا المنهج بدعًا عند البهبهاني فقد سبقه من قبل ابن الحاجب والفاكهي وغيرهم.

ومن الظواهر الملفتة في الكتاب أنَّ البهبهاني يسلك طريقة الهدم والبناء، في تقرير مسائله التي يروم إثباتها، وذلك واضح في عنوان كتاب والهدف من تأليفه، فهو يرى أنَّ كثيرًا من موضوعات النحو قد بُنيت على أسس هاوية أو بنوها غالبًا من دون أصل وأساس.

ويبدأ البهبهاني عند عرض الموضوع بوضع الحدّ النحوي الذي يريد الشروع في بيانه متوخيًا أنَّ يكون الحدُّ جامعًا مانعًا، ولإثبات ذلك يشرع بشرح مفردات الحدّ وما يلزم من وضعها، وبعدها يعرض لبعض ما ورد عن النحاة بهذا الخصوص من حدود أو غيرها ولا يشير غالبًا إلى اسم العالم بل يكتفي بالقول: (وقد عرفها بعضهم)[8]، وبعدها الانتهاء إلى نتيجة نهاية لما تقدم من بيان وشرح.

ويقوم منهج البهبهاني في كتابه في الغالب على الحدود النحوية التي تعتبر من أهم الأسس المنطقية في إثبات القواعد النحوية الرصينة، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ التعريف يعطي تصورًا كاملًا عن المعرَّف عن طريق الاشارة إلى جميع ذاتياته وحصر أفراده كافة ومنع دخول الغيار فيه، وهذا ما دأب عليه النحويون في إثبات صحة دعواهم.

المبحث الثاني: الغرض من تأليف الكتاب.

خلال مراجعة المقدمة التي وضعها البهبهاني لكتابه (أساس النحو) يبدو لنا جليًّا الغرض الذي من أجله ألَّف كتابه فيقول: (إنَّه لما كان أصل النَّحو فرعًا من فروع شجرة الطُّور، وقبسًا من قبسات دوحة النُّور مولانا علي أمير المؤمنين – عليه وعلى أبنائه الطاهرين أفضل صلوات المصلين – تصدى أهل العلم في كل زمان لتوضيح أساسه واستنباط فروعه، فأكثروا فيه التصنيف والتأليف، وحرروا فيه كتابا ورسائل، وحيث لم يتأملوا في الأساس حق التأمل وبنوا غالبًا من دون أصل و أساس، اختلفت الأقوال وتشتت آراء الرجال ولم يأتوا بشيء يشفي العليل ويروي الغليل، فكم من مطلب اتفقوا عليه وخلافه به أجدر، وكم من مبحث اختلفوا فيه وهو بالاتفاق أحق، ركنوا غالبا إلى ما لا ينبغي الركون إليه، وكثيرا ما اعتمدوا على ما لا يحق الاعتماد عليه، فأحببت أن أؤلف فيه بحول الله وقوته: مختصرًا يتميز به الشراب من لامع السراب، ومقتبسا لا يحجب نوره عن كل ناظر من ذوي الالباب فألفت فيه بحمد الله تعالى مختصرًا شافيًا وموجزًا كافيًا، حاويًا لإصول العربية ومتضمنا لأساسها فسميته بـ " أساس النحو")[9]، وبعد أن وضع شرح لهذا المختصر يقول فيه: (ولكنه لكثرة اختصاره ونهاية إيجازه وعدم استيناس أذهان الناظرين به صعب عليهم درك مقاصده والوصول إلى مبانيه، فشرحته شرحا ينحل به غوامضه وينكشف به ستاره)[10].

وهنا نلاحظ أن البهبهاني قد أطلق عنوانًا مشتركًا للمختصر ولشرحه وكان الأولى أن يضع له عنوانًا فيه أضافة لفظ (شرح)، فيكون العنوان (شرح كتاب أساس النحو)، وذلك على غرار كتاب (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) و (شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) وكلاهما لابن مالك.، وكتاب (شذور الذهب) و (شرح كتاب شذور الذهب) وكلاهما لابن هشام.

المبحث الثالث: موضوعات الكتاب.

قسم البهبهاني كتابه إلى مجموعة من العناوين هي:

1- **باب تعريف النحو وبيان فائدته وموضوعه:** وهو من باب المقدمة الايضاحية للولوج في صلب الموضوعات النحوية، وهذا يعدَّ من الأمور الضرورية في مناهج البحث العلمي ضرورة أن يكون لدى الناظرين تصور كامل حول ماهية العلم الذي بين أيديهم

ويتكوّن لديهم تصور بالموضوع الذي يعالجه هذا العلم، وأما بالنسبة لبيان فائدة علم النحو فله مدخولية في إقبال طلاب العلم عليه وتوظيفه في مجالاته المختلفة ولم يدخر البهبهاني في كتابه وسعًا لبيان ذلك.

2- **باب الكلمة والكلام والجملة و أقسام الاسم:** وفي هذا القسم يسهب البهبهاني في الشرح والتفصيل وإعطاء الادلة والبراهين لبيان مذهبه النحوي، ويعقد لها في كتابه ما يزيد على مئة واثنتي عشرة صفحة من أصل مئتين وعشرين صفحة يتكون منها كتاب أساس النحو، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنَّها الأساس النظري الأول الذي يعتمد عليه في بناء مذهبه النحوي، ويظهر ذلك جليًا في الكلام عن الضمير المستتر وهل يعد من جنس اللفظ وهو داخل تحت مقولته أم لا ؟ فلولا بيان معنى (الكلمة) وما يدخل تحت حدّها لم يتسنَّ له إخراج الضمير المستتر المعبر عنه (بالمنوي) في اصطلاح بعض النحويين.

3- ، **وهو ما يتقوّم باب الإسناد به الأركان:** يقول البهبهاني فيه: (والأصل فيه الإسناد الَّذي يتحقق به التأليف التام الموجب لصيرورة طرفيه ركنًا عمدة في الكلام فالواسطة في عروض الركنية للطرفين إنَّما هو الإسناد)[11].

ويندرج تحته ثلاثة أقسام وهي:

أ. **باب الفاعل ونائبه:** ويتضمن الكلام على الفاعل وبيان حدّه ونائب الفاعل ومذهب البهبهاني فيه، وبيان ما هو داخلٌ تحت حدّه وما هو خارج عن ذلك، وهي طريقة اعتمدها النحويون المتأخرون.

ب. **باب المبتدأ والخبر:** ويبدأ البهبهاني هذا الباب في طرح حدِّ المبتدأ، وإيضاح المراد بمفردات هذا الحدّ، وبعدها يذكر حدّ الخبر وهو منطبق على المبتدأ.

ج. **المضاف:** ويذهب البهبهاني إلى أنَّه مندرج تحت باب الإسناد ويعبِّر عنه بما أسند على معنى حرف الجرَّ[12].

4- **باب النواسخ:** وهو نواسخ المسندين، وعدَّها البهبهاني أربعة و هي[13]:

أ. **أحرف النفي** وهي: (ما و لا و إن النافيات)

ب. **أحرف النصب**، وهي عند النحويين الأحرف المشبة بالفعل، وهي ستة: (إنَّ وأنَّ و كأنَّ، لكنَّ، لعلَّ، ليت).

ج. **لا النفية للجنس.**

د. **أفعال الشكّ واليقين.**

5- : **باب التنازع**[14].

6- **باب المعاني المعتورة على الإسناد** : وهي الفضلة في الكلام ويُقسم إلى[15]:

أ. **المفعول به.**

ب. **الاستثناء والحال.**

ج. **تمييز النسبة:** (المفعول لأجله / المفعول المطلق.)

د. **التمييز.**

7- **باب المنصوب على الظرفية**[16].

8- **باب المنصوب بعد واو المعية**[17].

9- **باب المنصوب بنزع الخافض**[18].

10- **باب المعاني المعتورة على الإضافة**[19].

11- **باب الاسماء المتصلة بالأفعال**[20].

12- **باب التوابع**[21].

المبحث الرابع: أهمية الكتاب.

لم نعثر في حدود البحث على أيّ دراسة أو تحقيق على كتاب (أساس النحو)، ولم يشر أحد العلماء إلى أهميته من الناحية العلمية، إذ إنَّه من الكتب المؤلفة حديثًا إذا ما قيس بالمؤلفات المتقدمة عليه في المجال نفسه، وما وضع عليها من دراسات وتحقيقات أظهرت بمجموعها أهمية هذا الكتب، ولعلنا لا نجانب الحقيقة اذا قلنا ببعض الجوانب المهمة للكتاب وهي:

1- إنَّ الكتاب صدر من عالم يشار بالبنان لفضله ولمسيرته العلمية الحافلة بالبحوث والرسائل والتدريس، وهذا يرجح لنا أنَّ للكتاب أهمية علمية كبيرة.
2- احتوى الكتاب على كثير من الآراء النحوية لكبار العلماء أمثال سيبويه، والزمخشري وابن الحاجب وابن مالك وابن هشام وغيرهم.
3- انفرد البهبهاني في كتابه بحدود وآراء نحوية لم يتطرق إليها النحويون الذين سبقوه، وذلك في حدود اطلاع الباحث.
4- أورد البهبهاني في كتابه مصطلحات وأساليب جديدة غير مألوفة في الدرس النحوي القديم والمتأخر، مثلًا: (الإسناد الحدوثي و الإسناد الاتحادي).
5- أستطاع البهبهاني في كتابه إثبات مذهبه النحوي بطريقة علمية جدلية رصينة.
6- تتسم حدوده النحوية بالاختصار .

الهوامش

1- ينظر الذريعة في تصانيف الشيعة / ص22 / ج196.
2- ينظر معجم رجال الفكر والادب في النجف الأشرف خلال ألف عام / ص79.
3- ينظر مصباح الهداية في إثبات الولاية / المقدمة.
4- ينظر بدائع الأصول / د. ت. / 233.
5- ينظر بدائع الاصول: 233 – 234 – 235.
6- موسوعة طبقات الفقهاء / 5 ، 437.
7- ينظر كتاب مصباح الولاية في إثبات الولاية: المقدمة.
8- ينظر موسوعة طبقات الفقهاء: 438.
9- ينظر بدائع الأصول: 243.
10- أساس النحو: 7.
11- أساس النحو: المقدمة.
12- أساس النحو: المقدمة.
13- أساس النحو: 113.
14- ينظر أساس النحو: 143.
15- أساس النحو: 146.
16- ينظر أساس النحو: 166.
17- ينظر أساس النحو: 169.
18- ينظر أساس النحو: 195.
19- ينظر أساس النحو: 198.
20- ينظر أساس النحو: 200.
21- أساس النحو: 201.

المصادر:

1- أساس النحو، تأليف السيد على بن محمد الموسوي البهبهاني (ت1393 هـ) / الناشر: مكتبة الصدوق – طهران – ايران / ط1 محرم الحرام (1385 هـ).
2- بدائع الأصول / السيد علي الشفيعي / الناشر: انتشارات جوزستان – مطبعة الهادي.
3- الذريعة في تصانيف الشيعة: تأليف: آقابزرك الطهراني ، طبع ونشر: دار الاضواء – بيروت ، الطبعة الثالثة 1403 هـ – 1983.
4- مصباح الهداية في إثبات الولاية: علي محمد البهبهاني / إشراف: رضا أستاذي / الناشر: شركة مكتبة الالفين / الطبعة الأولى، 1420هـ – 1999 م
5- موسوعة طبقات الفقهاء / تأليف: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق ع / إشراف: جعفر سبحاني / الناشر: دار الأضواء – بيروت – لبنان / الطبعة الأولى – 1422 هـ – 2001 م.
6- معجم رجال الفكر والادب في النجف الأشرف خلال ألف عام / تأليف: محمد هادي الأميني / الناشر: مطبعة الأضواء – النجف الأشرف / ط 1 – 1964 م.